استخدمها مرة واحدة على الأقل فى كتاب له يحمل اسم «التطابق»Correspondentia، ومن قبله استخدمها «اسحق الاسرائيلى» Isaac Israeli فى القرن التاسع، وكان «اسحق الاسرائيلى» يهودياً من أتباع الافلاطونية المحدثة»[1].

ثم جاءت فى القرن العشرين على وجه الخصوص مناقشة مثمرة لنظرية التطابق فى سلسلة المحاضرات التي ألقاها «جورج إدوارد مور» فى عامى (1911 - 1912) حيث رأى مور أن الصدق والكذب يبدوان لأول وهلة كصفات للقضايا propositions، ولا يستخدم مور هنا كلمة القضية ليشير بها إلى معنى الجملة الإرشادية، ولكن ليعنى بها «المصادرة» axioma ثم عدل مور عنها، وعاد يتحدث عن الوقائع لا عن القضايا[2].

لذا تعد نظرية التطابق هذه من أقدم نظريات الصدق وأكثرها شهرة وأقربها إلى الموقف الطبيعى[3]. كما تقدمت هذه النظرية كثيراً فى الفلسفة المعاصرة على يد الفلاسفة التحليليين أمثال «رسل» و«رامزى» Ramsey و«فتجنشتين» wittgenstein، وكذلك عند «ألفريد تارسكى» فى النظرية السيمانطيقية Tarski`s Semantic Theory»[4].

نظرية الاتساق

تعتبر نظرية الاتساق Coherence theory فى الصدق إحدى نظريات الصدق التقليدية، والتى تضم تحت لوائها نخبة عظيمة من فلاسفة المذهب العقلى المؤيدين للميتافيزيقا أمثال ليبنتز، اسبينوزا، هيجل، برادلى[5].

ومؤدى هذه النظرية أن القضية تكون صحيحة إذا ما جاءت متسقة مع الحقائق التى سبق أن سلمنا بها، والقضايا التى قبلناها من قبل وسلمنا بصحتها. فلو قلت عبارة غير متسقة مع ما سلمت به كانت كاذبة، و إذا جاءت متسقة مع هذا الرأى الذى قبلته وسلمت به كانت

(1) A. N. Prior:Correspondence Theory of Truth, op. cit, P. 224.

(2) Ibid: p.224.

(3) وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص52.

(4) A. N. prior: Correspondence Theory of Truth, op. cit, ppp.226, 228,230

(5) Alan R. white: Coherence Theory of Truth, in, The Encyclopedia of philosophy , Vol, I, p.130.

صادقة. وخير مثال لهذا النوع من الصدق هو ما نجده فى الرياضيات والمنطق. إلا أن الصدق هنا لا يعبر عن صدق واقعي بالضرورة، لأن كل ما يمكن أن يكون لدينا مجرد اتساق منطقى لا تربطة علاقة ضرورية بالواقع وبالعالم الموضوعى. ولذلك فإن هذا المعيار لا يقدم لنا شيئاً عن طبيعة الحقيقة أو القضية الصادقة[1].

ففي هندسة إقليدس مثلاً نجد نسقاً مستمداً بالاستنباط Deduction خطوة فخطوة من البديهيات Axioms والمصادرات postulates الأصلية، وما أن تؤخذ هذه البديهات والمسلمات presupposition على أنها صحيحة حتي يلزم عنها بقية النسق system منطقياً وعلى نحو يكون محتوماً. ففى هذه الحالة ننتقل فى سلسلة لا تنقطع قوامها استدلالاً غاية فى الدقة، من البديهيات الأصلية إلي عبارة «وهو المطلوب إثباته»، التى يختم بها البرهان على النظرية الهندسية، وبالوصول إلي النتيجة تكون لدينا سلسلة تامة التكامل من التفكير المنطقى، تترابط بدورها مع نسق كامل من الاستدلال Inference[2].

فى مثل هذه الأنواع من التفكير الاستنباطى، يكون من الواضح أن الصدق والبطلان يتحددان تبعا لكون القضية المطلوب بحثها تنسجم مع النسق الذى يفترض أنها تكون جزءًا منه، وهنا يصبح الاتساق، أو الترابط هو المعيار الوحيد للصدق: فالعبارة لا تكون باطلة إلا إذا لم تتكامل مع مجموع معرفتنا أو اعتقادنا[3]. وهنا يتوقف الصدق على دعامتين الأولى: العلاقات الداخلية ومدى اتساقها مع بعضها البعض، والثانية: درجات الصدق. لذلك قبل برادلى الاتساق بوصفة معياراً للصدق، فيقرر فى كتابه» مقالات فى الصدق والحقيقة» أن المعيار الذى ينبغى أن يطبق هو المعيار الخاص بالنسق، فأعلن صراحة أن هذا المعيار يعمل على نحو مقنع ومرضى، ولا يوجد بديل له يعمل بالكفاءة نفسها، ويبين هذا فى قوله «إن المعيار الذى أدافع عنه هو الانساق»[4].

(1) محمد مهران، محمد مدين: مقدمة فى الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص59.

(2) هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة / فؤاد ذكريا - دار نهضة مصر للطباعة والنشر - الطبعة الثانية - القاهرة 1975م، ص159.

(3) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(4) محمد توفيق الضوى: نظرية الصدق عند برادلى، مرجع سابق، ص 17.

ولذلك كان لابد للترابط أو الاتساق أن يتضمن الآتى:

أ - ألا تكون إحدى قضايا النسقsystem كاذبة وباقى القضايا صادقة.

ب - أن يتحقق بين قضايا النسق الواحد لزوم منطقى.

ج - ألا يكون في قضايا النسق قضايا منعزلة عن بعضها.

د - أنـه لكى يصدر حكماً بالصدق أو بالكذب على عبـارات أو أحكام محددة، فإنه يجب أن يكـون هـذا الحكم متسـقاً مع ما جاء بـه أنصار الوضعيـة المنطقيـة Logical positivism supporters، كما أنه يجب أن يكون مقبولاً لدى أصحاب الفلسـفة المعاصرة The Scientists of the contemporary culture[1].

وعلى الجانب الآخر، يصر الميتافيزيقيون المؤيدون لنظرية الاتساق على أنه من الصعوبة أن نطلـق عـلى الحكم صفة الصـدق إلا إذا كان يلائـم حقيقة كونية أو حقيقـة واقعية والتى تكون هى نفسها نسقاً جزئياً فى إطار النسق الكلى[2].

وفى حقيقة الأمر، أن نظرية الاتسـاق لم تحظَ بالقبول العريض الذى حظيت به نظرية التناظر أو التطابق، رغم أنها لم تعدم مؤيدين لها من الفلاسـفة البازين[*]. ومجمل القول فيها «تكون العبارة صادقة إذا كانت متسقة مع جميع العبارات الصادقة»[3].

---

(1) Allan R. white: coherence Theory of Truth. op. cit, p. 130.

(2) Ibid: p. 130.

(*) الفلسفة تنقسم بشكل بارز إلى تيارين أساسيين متقابلين، فضلاً عن التجاوز والتلاقح بينهما، هما تيار المثالية الذى يرى أسبقية الفكر على الوجود، وتيار التجريبية الذى يرى أسبقية الوجود أو الوقائع على الفكر. ومعيار الاتساق أو الترابط فى تفسير طبيعة الصدق أكثر تمثيلاً للتيار المثالى، ومعيار التناظر أو التطابق أكثر تمثيلاً للتيار التجريبي، مع الاتساق لا يتوقف الصدق على شيء خارج الذهن، ولا يحتاج إلا لقوانين المنطق، لذا يمكن أن تمثل القضية الصادقة جزء من النظام المتكامل الذى هو الحقيقة بألف ولام العهد، إذ لا يبالى هذا المعيار بالواقع ومتغيراته لذا كان أقرب إلى التيار المثالي.
أما معيار التناظر أو التطابق، فيجعل من الصدق تناظراً مع واقعه فى العالم التجريبي، لذا كان ضرورياً للإبستمولوجيا التجريبية، وهو أكثر المعايير فعالية، ويكاد يكون الإجابة الفلسفية الرسمية عن السؤال: ما هو الصدق؟ مادام يعطى تمثيلاً كافياً للمعرفة التجريبية وللحوار الدائم بين العقل والواقع.
انظر - د/ يمنى طريف الخولى: مراجعتها لكتاب وليم جيمس إيرل، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة/ عادل مصطفى، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005م، هامش ص ص 54، 55.

(3) وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص ص 54، 55.

وخلاصة القول، يرى الباحث أنه إذا كانت نظرية التطابق أو التناظر تهتم بالوقائع، فإن نظرية الاتساق تهتم بلغة التجريد العقلي، ولكن إن كانت الأولى تعنى بالصدق الواقعي، فالثانية تهتم بالصدق الصوري الذي يشمل حقيقة النسق الفلسفي عن طريق المسلمات وتوافر الشروط المنطقية الصرفة وهذا ما أدى إلي ظهور نظريات أخرى.

النظرية الدلالية Semantic theory

لتحديد العبارة الصادقة يجب أن نتعرف على اسهامات الفيلسوف والمنطقي البولندي ألفرد تارسكي في أوائل الثلاثينات من هذا القرن في تطور علم المنطق، ذلك عندما أسس المنهج السميانطيقي أو منهج دلالات الألفاظ اللغوية semantics لسد الفراغات التي أوجدها اتجاه «المابعد الرياضي» أو «الميتاماتيماتيك» لدى «هلبرت». وتعاون مع تارسكي كل من «أسكوليم» و«جودل» و« تشيرش». وتناقش النظرية العلاقة بين التعبيرات والألفاظ سواء أكانت كلمات أم جملاً وبين الأشياء والموضوعات التي تشير إليها، وتسمى بالفترة المعاصرة في تطور المنطق الرمزي[1].

لقد وضع تارسكي نظريته بغية التغلب على المفارقات الدلالية semantic paradoxes التي يثيرها الكلام عن الصدق في اللغات الطبيعية، وأبرز هذه المفارقات مفارقة الكذاب Liar paradox[2].

ولا يقدم تارسكي تعريفاً عاماً للصدق كما هو الحال في النظريات الأخرى، وإنما يرى أن التعريف المقبول للصدق لابد من أن يستوفي شرطين: الأول أن يكون التعريف كافياً مادياً، والثاني أن يكون صحيحاً صورياً[3].

وحسبنا أن نقول بإيجاز إن تارسكي يعرف الصدق في حدود العلاقة الدلالية «للاستيفاء» وهي علاقة بين دالة الجملة والأشياء غير اللغوية التي تستوفيها. وتبنى نظرية تارسكي

(1) أ. هيبسون، د. ج. أوكونر: مقدمة في المنطق الرمزي، ترجمة د / عبد الفتاح الديدي، دار المعارف، القاهرة، 1971 م، مقدمة الترجمة العربية ص13.

(2) صلاح إسماعيل: نظرية المعرفة المعاصرة، مرجع سابق، ص124.

(3) المرجع السابق: ص125.